**عقد ملتقى القاهرة الثالث للابداع الروائي العربي الشهر الماضي تحت عنوان (الرواية والتاريخ دورة عبد الرحمن بدوي). وشارك في الملتقى الذي نظمه المجلس الاعلى للثقافة في مصر عدد كبير من الروائيين العرب بدراسات وشهادات تناولت محور التاريخ والرواية والمسافة الابداعية التي تفصل بين الاثنين الخاصة بالاعمال الروائية العربية التي اعتمدت التاريخ موضوعاً لها. ارتأت المدى الثقافي ان تنتخب مجموعة من الشهادات التي قدمت من قبل روائيات عربيات بهدف تسليط الضوء على التجربة النسوية على وفق تعاملها مع التاريخ.**

المدى الثقافي

# المرأة عندما تكتب التاريخ
# شهادات روائية نسوية

عالية ممدوح

ليلى العثمان

بتول الخضيري

تجربتي في الكتابة

## بتول الخضيري

ولدت في عائلة كلها رجال اعمال وتجار! كان عندي أربعة اعمام: الاول اختصاصه الصيرفة، والثاني علاقات عامة، والثالث دكتور في الزراعة حصل على جائزة لتكبير حجم الطماطم، ووالدي الذي اختص في الخمائر ، وقد كانوا جميعهم مبدعين في اختصاصاتهم، خاصة العم الرابع مدمن الكحول.
اجتمع الاخوة في بداية الستينيات في بغداد، وباشروا دخول مجال الصناعات الغذائية. بعد نجاحاتهم ، كان يتوقع مني ان ارفع راية العائلة. أو بالاحرى . العلامة التجارية، وان اتحمل ولو جزءاً من المسؤولية . والدي ارادني ان اصبح محاسبة.
في المرحلة الثانوية من دراستي، ضغط على فاضطررت للدخول في القسم العلمي رغما عني. وفي اثناء احدى رحلات عمله، طلبت من سائق الوالد ان يتآمر معي ليساعدني على نقل اوراقي من القسم العلمي إلى القسم الادبي من دون علمه. ولم يكتشف والدي الا بعد سنة انني لن ادرس العلوم.
في سن الثامنة عشرة، ترك الوالد ارتباطاته العلمية في الخارج وجاء إلى بغداد في الفترة المخصصة للتقديم للدخول إلى الجامعات. ارادني ان ادرس ادارة الاعمال وانا اردت الدخول إلى قسم اللغة الفرنسية، ثارت ثائرته، ورفضت الدخول إلى الجامعة ان كان سيجبرني على دراسة المحاسبة. اختلفنا، وتمزقت اوراق التقديم. سافر، فقدمت اوراقي مرة اخرى إلى قسم الاداب، وقبلت، سمع والدي بالخبر فقاطعني طوال فترة الجامعة لانني عصيت امره، وعقابا لي، لم يحضر تخرجي، ملأت راسي بالكثير من الشعر الفرنسي لكي اتناسى غيابه وانا اتجول في اروقة الجامعة احمل العلم العراقي بعد اعلان تفوقي.
توفي والدي بعد ذلك بفترة قصيرة في حادث سيارة، شعرت بالالم، والندم ، والذنب، فقررت ان اخدمه بعد وفاته، عسى ان يخفف ذلك عني شعوري انه رحل وهو غاضب، كيف يموت وهو غير راض عني!
في هذه الاثناء مرضت والدتي بالسرطان ، فقسمت وقتي ما بين المتابعات في العمل اليومي، وبين رعايتها، وبين التزامي بأن اكتب ولو صفحة واحدة في اليوم، عن أي موضوع كان، ليبقى قلمي على قيد الحياة وانا اتنقل ما بين بغداد وعمان ولندن.
واستغرقت التجربة خمسة عشر عاماً.
كان من المفترض اني اليوم سيدة اعمال، برغم محاولاتي العديدة فشلت. منذ ١٩٩٠ عملت في شركة المرحوم، لاجله فقط، ولاجل ان يسامحني، اخيراً سنة ٢٠٠٠ قررت ان اترك ساحة العمل العائلي، واتفرغ للعمل الابداعي.
في طفولتي، شهدت سلسلة من خلافات متداخلة حول الثقافة والعادات والدين واللغة والتوقعات في الحياة ما بين امي الاجنبية وابي العربي.
كانت امي امينة مكتبة في اسكتلندا وعر فتني على عالم الكتب والرواية. تنهض كل صباح وتقول لي: "اذهبي إلى الحديقة وايقظي الجنيات النائمات في الورد". كانت تشجعني على التخيل والايمان بغريزتي، في حين كان والدي يرغب ان احفظ الضرب بسرعة ودقة.
كان والدي يرغب في ان اسال اسئلة ذكية، مثلا: " كيف نصنع الصابون؟ وكيف نحول التبغ إلى سكائر؟ وكيف نقيس سرعة الضوء؟" في حين كنت انا مهتمة ان العب مع الحيوانات في الحديقة واحاول ان افتح ظهر السلحفاة بمفك لارى كيف تعيش داخل قشرتها، ومرة قفزت من سطح الدار لافهم كيف تشعر الفراشة وهي تطير.
كان ابي يمنعني من تداول اللغة الانكليزية في البيت، وامي تأتيني بالمجلات. قرات لي قصص ايند بلاتين، وهانس كريستن اندريسون قبل النوم. اما هو فقد كان يقرأ لي الشعر كل جمعة. عندما شعرت برغبة في الكتابة في مراهقتي، كانت لغتي العربية ضعيفة وطلبت منه ان ياتيني باستاذ لغة عربية ليدرسني القرآن ، فجاء لي بصديقه الشيوعي. بعد عدة دروس يئس الاستاذ مني فقرر ان يدرسني الترجمة لكي افهم الربط بين اللغتين. اكد لي مراراً انني اكتب العربية لكن باسلوب انلكيزي، وعندما قررت دراسة اللغة الفرنسية ، ارتبكت لغتي أكثر، ولا ازال حتى اليوم انصب الفاعل، وابدأ كتابتي بجملة اسمية.
امي الاجنبية لم تكن تفهم معنى كلمة "عيب" في حين والدي يصر عليها. كان يشجعني على الزواج وهي تشجعني على الاستقلالية، كان يشجعني على الاختلاط بالعائلات العراقية وهي تفهم رغبتي بالمكوث في غرفتي والقراءة. كان يرغب في ان اعمل مبكرا وهي تشجعني على اكمال دراستي ، والدتي لم تفهم اللغة في بداية اقامتها في العراق، لذا كان من واجبي ان احكي لها ما يحدث في الحياة اليومية، فأصبحت انتبه لكل ما يجري حولي في المجتمع واحوله إلى لغة بسيطة لتفهم هي تعقيدات البيئة الاجتماعية ، باختصار، تأرجحت ما بين نصيحة امي: "كوني طبيعية". ونصيحة ابي "كوني حذرة".
ثم حلت سنوات النضج، خسرت مشجعتي الوحيدة، ماتت امي يوم زواجي، ومات شيء في داخلي يوم طلاقي، فحزمت حقائبي، وفي يدي مخطوطة ومن دون اطفال، وقررت العودة إلى الشرق حيث اقبلت على النشر، ولان رواتبي الاولى تشبه حياتي، قامت العائلة بطردي من الصف، جنيناً، اعتقد بأنني اشبه عمي الرابع، فقد عيروني بأنني من دون مهنةٍ مثمرة، ماديا واطلقوا علي تسمية "الشريك النائم" .
في عمان، طرق الحظ بابي ليلهيني عن عزلتي الجديدة، جارتي كاتبة اردنية، اعجبت بالنص وعرضته على زميلها الناشر فصدرت الرواية الاولى، ثم في حفل التوقيع، اقترحت روائية اردنية اخرى عرض رواتبي على وكيلها في لندن، وهكذا بدأت سلسلة من تواقيع عقود مع دور نشر عالمية، تبع ذلك مكالمة هاتفية من قريب لي وهو جراح اعصاب عراقي مقيم في انكلترا قال لي: "سأترك مهنتي، مللت مهمة اخبار اهالي الاطفال المصابين بالاورام الخبيثة ان اولادهم سيموتون، قررت ان اترجم روايتك من باب التغيير"، غامرنا باسم التجريب، ونجحنا.
الكتابة انقذتني من الوقوع في مطب الكآبة، وفي رحلة البحث عن الذات، وافكار وتحديات اكتشفت انها سلسلة متواصلة، فرضت علي مسؤوليات تناقضت ما بني مواجهة عائلة شرقية غاضبة لان ابنتها متحررة، وتكتب عن سيرتها الذاتية، وتصف الجنس، وخيانة ام، وعملية اجهاض ، من دون ان يضع افرادها ادنى جهد للفصل بين الحقيقة والخيال. ومن جهة اخرى ، كان على ان اثبت للقارئ الغربي ان الكاتبة العربية لا تمثل المراة المتحررة، على الفصل بين الحقيقة والخيال، فتجولت في جامعات الغرب اطلب من الطلبة الا يصدقوا كل ما يخرج به اعلامهم. كانت لدينا مسابح مختلطة ، دور سينما، مدرسة موسيقى وباليه، وكانت الفرقة السيمفونية العراقية تعج بنساء عازفات. كنا ندرس في الجامعات، وكانت من بيننا نساء قاضيات، كانت النساء يتقاضين رواتب تساوي رواتب الرجال، لم يجبرهن احد على ارتداء الحجاب أو الزواج قبل سن السادسة عشرة، لم تكن المراة مضطرة الى تحمل ضرة لها فيما لو قرر زوجها الزواج باربع كما تسمح الشريعة. المراة كانت لها حقوقها المدنية. وتبع ذلك توضيحات انني لست ضد الدين، أو الحجاب، ولا انتمي إلى اية مؤسسة نسوية منحازة، وبالتاكيد لست ضد الرجل. الخ، الخ.
قررت مؤخراً التخفيف من فعل الكتابة والتوجه إلى ادارة الاعمال. سأفتح شركة خاصة تحتوي المعادلة: تحقيق نص جيد، ايجاد مترجم بارع، الاتفاق مع وكيل نشر مثابر، والعمل مع ناشر عربي وناشر غربي معترف بهما، ثم سافتح الابواب لزملائي الكتاب النشطين الذين لديهم الاستعداد لتقديم انفسهم للعالم من دون تردد. وفي هذه الاثناء، سأبحث عن محاسيبه.

التاريخ يذهب إلى الامام

## عالية ممدوح

ذات ظهيرة حارقة من برودتها الشديدة، وجدت احداهن نفسها تفر وراء الرجل الذي شغفت به غادرت بيت العائلة ولم تنظر إلى وراء بغضب. كانت متروكة تماما إلى الحد الذي لم تلاحظ قط ما كان ينتظرها بالضبط؟ فضيحة باقوال مأثورة وعبارات فياضة باعثة على الملل. لكن تلك الانسة واصلت حكايتها الشخصية، الذاتية والفردية، فكل ما هو شخصي، ذاتي وفردي هو اصل يدخل في التاريخ العام، ان ما سردته المؤلفة . في رواية الولع . كان صحيحا لكن لا احد تأكد منه، لا احد يتأكد من نزاهة غرام النساء المهلك الا الكتابة ، فذلك ليس تاريخا لشخصية فلانة بنت فلان، هو تاريخ المدينة والمؤسسة، الحزب، والمدرسة ، والشارع، هو ليس تاريخا يغادر الوجه ويلامس الروح، هو القدرة على ان يدون اولا، ثم ستحضر النساء والرجال، ستبدو الدنيا على بعد خطوة ومهما كانت النتائج.
التاريخ لا يذهب بعيداً والكاتب يفضل الذهاب إلى الاقاصي. تتبعت خطوات الانسات والسيدات والسادة الرجال لكن كان هناك شيء ظل في الضفاف، شيء مخيف، ذلك الجمال، وذلك الحب الرهيب الذي لم يذهب إلى سريره بعد، ان استئناف اللحاق بهم لم يبين لم كان يدع خط الدم يصرخ وهو يبلط الارض، هنا كنت ادل. في رواية الغلامة على تلك الفتاة، صبيحة التي سلمتني شبابها في الولع فجعلته كالرماد في الغلامة. عاودت معها وهي تدل على رجلها، رجالها، الاسياد من الشيوعيين والبعثيين، تلك السيدة كان يجب ان تقتل، تغتصب قبل ان تعيش حياتها تلهم المؤلفة بالفيضان ، لكن الدينا تبعث الضيق والمرارة في نفسها فتحمر بالمهانة حتى من وجودها، امر مرعب ان نوازن بين السيىء والاسوأ ، وصبيحة في الغلامة تذعن للعيش بين الديدان والغبار والدم لكنها تسجل امامي صفحات حالها، وهي تستريح في رجوعها إلى امام. التاريخ في رأيي هو العودة إلى الامام من جديد، تاريخ الافراد، الذوات والشخصيات الذي يصنع امامي، انا التي اشتركت في صناعته، كان اهتمامي هو محاولة اعادة كتابة المدن وتاريخ بعض الاشخاص الذين قدر لهم ان يكونوا، أو ان لديهم الرغبة الحارقة في لملمة الانقاض، انقاض المدينة وانقاض البشر هناك أكثر من مدينة تنمحي ويعاد بناؤها، كذلك الشخصيات.
اننا نحاول معاً نتيجة الالتباس والشكوك ان نشاهد الاغلاط وهي تقترف امامنا، تترك كلمة المغادرة وما على المؤلف الا تسجيل وقت الرحيل . الرواية دليل على ان هناك اشياء سوف تحدث، اما تلك التي حدثت فهي خادعة مموهة واكثر الاحيان زائفة.
صبيحة في الغلامة كانت امام التاريخ وبجوار الكتابة، لم تنس رجلها/ رجالها المحبوبين والاعداء قط. لم تضربهم بالرصاص ولا لاحقتهم (كالبوليس). سلمت المؤلفة الابرة وقالت لها: لا تصرخي بدلا مني، لا تكتبي بدلا مني لكن لا تتوقفي عن النظر إلى اسفل، إلى الحضيض، صبيحة كانت هناك لكن المؤلفة انتزعتها من البلايا، ووضعتها في الرواية، انا المؤلفة حضرت من بطنها بخطى هادئة وليست على عجلة وهي في منتصف الثلاثين. هي التي ولدتني واخرجتني للعلن. ادارت الرجال وادارها الظلم لكنها لم تفر. ترى من بمقدوره الانطلاق ثانية حيث التاريخ عاقر ومزابله تنمو بكثرة، ورائحة العفونة لا تطاق، لكن الكتابة وليست الرواية فقط قد تدخل إلى ذلك الوحل الفاسد، بعض الزعفران، الهيل والقرفة، هي ليست الرواية ، هي نحن، الرجال، الاصدقاء، العشاق الصعاليك الخونة، القساة، الطغاة الضالين المرضى والضجرين، وبمثله للنساء ان لم ندون أكثر.
نحن حكايات ذلك البرص الذي لا يرى بالعين المجردة ، وما علينا الا الإعلان عنه لكي نسمع نجوى الذين اصيبوا به، هو برص لا يشفى الغليل حتى إذا اعترفنا بوجوده منقول مازلنا في مقتبل الشباب، لكن البرص يطاردنا فيلوثنا، يضحك علينا مرددا، اننا ابناء وبنات الظل والنور، لكننا نرد عليه: ان رائحتك نتنة، هكذا تحضر في اغلب الاحيان رائحة التاريخ المكتوب من قبل القتلة.
كان علينا كتابة ذلك السجل الدموي لا من اجل الخلود أو الاجيال القادمة، وانما من اجلنا نحن البشر ، كتابا وفنانين من هنا كان على الانتظار أكثر من ثلاثين عاما لكي اذهب إلى اقصى ما شاهدته وانا في فترة البلوغ، هو الكتابة عن حفنة من المثقفين/ المناضلين العراقيين، بعضهم تبدى لصبيحة كقزاعة الطيور، محشوا بالنظريات والاوهام، فهو اخر ما افرزته الايديولوجيات العربية الافلة، هو نتاج هجين من الغطرسة الاوربية التي عفا عليها الزمن ومن مرحلة الانحطاط العربي في عصوره الاولى، ولعل اسطع ما يظهر على ذلك المناضل / المثقف من تصدعات ورعب هو فعله ورأيه بالمرأة فهو لا يزال يزمجر غضباً، حتى إذا ما شعرت شريكته بالمتعة وهما على سرير الزوجية.

جداتي ... صانعات التاريخ من مرسى عنخ إلى زهر الورد

## عفاف السيد

وقفت مرسى عنخ الثالثة امام النموذج المصغر للمعبد الجنائزي تتطلع إلى ما انجزه مهندس مقبرتها، كانت تشعر بقلق وربما بأسى، هنا في حجرة الدفن تنتظر عبورها لحقول "أيارو" كان قلقها نابعاً من سؤال وجودي يترتب عليه الخلود، من سيمسك يدها ويتقدمها في رحلتها الابدية؟!.
كان منطقيا ان يتقدمها الفرعون الزوج أو الابن أو الاخ، أو أي من آلهة الحامية أو حتى احد الآلهة، لكن مرسى عنخ كانت نازعة إلى التمايز والتفرد، فقد كانت مفكرة وشاعرة وفنانة، كتبت ورسمت وسجلت على جدران مقبرتها انها قررت بارادة حرة وحب كبيران من ستمسك يدها وتتقدمها في رحلتها الابدية، هي امها حتب حرس الثانية لتقودها إلى العالم الاخر، إلى الخلود.
مرسى عنخ ضمنت مقبرتها احد عشر تمثالاً لاحدى عشرة ملكة هن جداتها، ليكن رفيقاتها في حقول " الايارو".
ما الحقيقة؟
كيف استطاعت مرسى عنخ اقناع الكهنة، وماذا فعل مهندس مقبرتها، وماذا قالت الفنانات اللائي عكفن على كتابة النصوص ورسمن الجداريات، وماذا قال أو فعل العمال والفنانون الذين نحتوا تماثيلها وجداتها، من احضر لهم الطعام ومن تقاسم العيش والجعة، وما الذي حلمت به مرسى عنخ اول نسوية في التاريخ؟
وقفت زهر الورد امام النموذج المصغر للمحراب توقد شمعتين للعدرا وتقول: (الشمعة دي عشان العدرا تحفظك يا بنت بنتي" فاصلى للعدرا معها والتصق بها فتتعبق روحي برائحتها واغسل قلبي بالمحبة وافرد ذراعي عبر السنين لتتقدمني جدتي زهر الورد اول نسوية في حياتي . لحقول الايارو.

الابطال يكتبون تاريخهن

## علوية صبح

كانت مادة التاريخ تضجرني وانا على مقاعد الدراسة ، اذ كان علي ان ابصمها واحفظها غيبا، كي لا ارسب فيها. لم يكن يعني لي أكثر من تواريخ على حفظها، ومن قتل من، ومن خلف من على الحكم، وكيف تعاقبت الحضارات وتتالت بفعل الحروب والصراعات والدسائس أو الابادة، أو ما شابه من اساليب العنف وادوات الحروب والقتل.
كان يخيل لي ان التاريخ حروب، مدن تحت الارض، بقايا اثار وهياكل واعمدة، امبراطوريات ودول وممالك توسعت، ثم زالت أو تحجمت مما كان يشعرني ان للتاريخ امكنة وروائح عتيقة تنفرني، وارتسمت في ذهني صورة ان التاريخ اختصار لرجالات وسلاطين وحكام. وكنت اتخيل الواحد منهم على قدر من الضخامة والطول لاعتقادي ان العظماء عمالقة باجسادهم أيضاً، ولكي احفظ اسماءهم وابصم الدرس، كنت استعين بمخيلتي لاتصور اشكالهم، وارسم بالرصاص على هامش الصفحات رمسيس الثاني، أو هنيبعل أو هارون الرشيد أو زنوبيا، أو غيرهم من رجالات التاريخ، وحدها الروايات والقصص كانت تاخذني إلى علاقة اخرى بالتاريخ، والى امكنة وازمنة وابطال وعلاقات تحفز خيالي، وتتجسد امامي عوالم حقيقية تقربني من الحياة ومن انسانيتي.
دائما كان الود غائبا بيني وبين التاريخ. وكان بين التاريخ والحكاية مسافة لم اجمعها وقتها، لاحقا صار ادراكي لذاكرتي جزءاً من ادراكي للتاريخ، والعكس أيضاً.
بداية، كان عبق الذكريات صلة الوصل بين الشخصي والتاريخي بالنسبة لي. كنت اشم رائحة التاريخ وانا صغيرة، حين ازور بيت جدتي في القرية وارى الليوان، الغرفة الطينية الملحقة بالبيت، والتي كانت بقايا لمنازل عتيقة قبل ان يعاد بناؤها، حيث كانت جدتي ونسوة القرية يخبزن فيها على الموقدة ويعملن على تحضير المؤنة. كنت استأنس بالمكان واشعر ان له رائحة اخرى غير تلك الرائحة التي كنت اشمها من كتب التاريخ.
والمسافة زادت بعدا بيني وبين التاريخ مع بداياتي النضالية. الافكار الثورية ومفاهيم الحداثة التي نشانا عليها في السياسة والثقافة والايديولوجيا والفن، تعاطينا معها بطريقة استهلاكية، وكأن أي اتصال بيننا وبين تاريخنا شيء معيب ورجعي، وكأننا بذلك فصلنا الفكر عن التاريخ، والحاضر عن الماضي، أي فصلنا التاريخ عن حركيته وصيرورته. بل خيل لي في عمر المراهقة الثورية، ان صناعة الحاضر تتم بهدم الماضي والانقطاع عنه، بل رفضه من دون ان اعرف لماذا.
الحرب اللبنانية التي دخلها وطني ملأت ذاكرتي بالخراب والهدم أيضاً، مثلما ملأت ذاكرة جيلي، تاريخي الشخصي لا يمكن فصله عن التاريخ العام. فانا مثلا رأيت نفسي في مريم، مثلما شعرن الكثيرات من القارئات، مع اختلاف التجارب الشخصية، فقد تربيت على قدر من الحرية وعدم القمع والتعبير عن النفس، وربما هذا منشأ جرأتي الانسانية والفنية العفوية والتلقائية، ثم انني ناضلت مثلي مثل ابتسام وياسمين على عكس مريم، الا ان تاريخ مريم لم يكن ممكنا فصله عن المجتمعي، وهزيمة الحرب والمصائر التي آلت اليها الشخصيات دفعتني إلى لعبة المرايا، حيث احسست ان لا ذاكرة للكاتب بلا ذاكرة ابطاله، فهم الذين يرسمون تاريخهم وتاريخ الكاتب والكتابة. لانني اعتقد ان الشخصيات تؤسس لتاريخ البشر. وجدت ان تواريخ النساء هي تواريخ عنف وجهل وخرافة، قاربت المحرم والممنوع وانا اقارب الحياة بالكتابة، فألفيت نفسي اذهب إلى ذاكرة الابطال المهمشين الذين يسائلون الذاكرة المكتوبة والسطلوية. وكل عمل روائي هو مشروع تاريخي ، أو محاولة لاعادة قراءة التاريخ، فالرواية محاولة لاعادة قراءة الحاضر والماضي من خلال حيوات الابطال. الشخصيات تؤسس لتاريخ بشر. والكتابة لا استكشاف لا معنى لها. ولم ار تاريخ الحرب بمعزل عن حيواتها ومصائر الابطال، فالتاريخ في الرواية يتشكل من عيش انساني بكل تجلياته الوجدانية والثقافية والاقتصادية والنفسية وغيرها.. ولذلك وجدت نفسي اذهب إلى امكنة وعلاقات وروائح ومصائر حددت وضعيات اجتماعية وخيبات سياسية وعاطفية في زمن تاريخي معين، كما حددت تكويناً انسانياً واجتماعياً وثقافياً وحزبياً، وبالتالي تاريخياً.
وتاريخ الابطال لا يتحدد بمعزل عن حيواتهم وعلاقاتهم باجسادهم، وعن اللغة وخطابها الذي هو اختزال لثقافة عيش سائدة. لذا وقعت على تنوع في الثقافة والخطاب بين الاجيال الثلاثة، حيث كان خطاب الجيل الاول مثقلا باحاديث الجن والخرافات والامثال في حين خلا منه خطاب الحفيدات. ثم ان التاريخ الشخصي والثقافي لكل شخصية ينعكس على اللغة وخطابها، بحيث تحكي كل شخصية لغتها، لتتعدد الاصوات في الرواية، وثمة فرق بالطبع بين تعدد الاصوات في الرواية وبين صوت الراوي الواحد. كما وتكشفت العلاقة بالجسد والاخر عن ذهنية سائدة في حقبة زمنية معينة من خلال سير الشخصيات، بل حتى من خلال تهويماتها. فتهويمات النساء بالبيك مثلا تسجيل لتاريخ قمعي يمارسه الاقطاعي على الفلاحين ويتغلغل بوجدان النساء الفلاحات. وفي هذه التهويمات مؤشر كاشف على مدى الاستغلال القمعي للاقطاعي في زمن معين، الذي يملك الأراضي والغلال والاحلام أيضاً.
كما رحت استكشف من خلال العلاقة بتاريخ الجسد تاريخ الخوف والقمع عند النساء. ففي حين استجابت جدة مريم لرغبة الجسد حين تنكرت للاعراف والتقاليد والنظم القمعية، فان امها انكرت جسدها حين استجابت لها، إلى حد الغاء انوثتها، وانكار حتى لذة الاكل وعدم ارواء عطش مريم العاطفي.
وجدت نفسي وانا اكتب عن الحاضر احفر في الامكنة المعتمة والقصية والمتحجبة في الذاكرة والادب، والحاضر دائما حامل لارهاصات زمن وتاريخ ، والذاكرة ليست شيئاً ماضوياً، لذا تسقط الحدود في الادب، كما في الحياة، بين الماضي والحاضر، بين التاريخ الشخصي والعام، كما بين المتخيل والواقعي.
التاريخ الادبي ليس سوى استكشاف للذاكرة، والكتابة محكومة بالحياة والتاريخ. ولكن هل نحن محكومون بالتاريخ الان، ام بالماضي. وشتان ما بينهما؟
وحده التاريخ الحي والمتحرك بصيرورته ، يرفد الحاضر بالحياة، يبعد عنا ميثاق الموت في الكتابة، كما في الحياة.

تاريخ مدينتي في قصصي ورواياتي

## ليلى العثمان

لم تغب مدينتي القديمة عن قصصي ورواياتي، لان علاقتي بمدينتي القديمة لم تكن دهشة بل حميمة. ففيها تكون نسيجي الاول واكتسبت معرفتي الاولى

**متاثرة بكل ما حفلت به تلك الحياة الاجتماعية. ولعلي كنت منذورة منذ البدء للكتابة من دون ان ادري والا كيف استطعت ان احتفظ بهذا الزخم الكبير من روح ذلك الماضي البعيد؟**
لقد فرضت علي ظروف طفولتي ان اعيش في مناطق الكويت كلها بدءا من البحر الذي نشأت علاقتي به وتعمقت كل طقوسه بوجداني فأخذ مساحة كبيرة في رواياتي وقصصي ليس لانه كان مرتعا ومتنفسا للطفولة وحسب بل لانني اردت ان اقدم الصورة التاريخية لذلك البحر لانه الاساس الذي ارتبط به اهل الكويت، فقد كان المصدر الاول من مصادر الرزق: صيد السمك والغوص على اللؤلؤ، وكان بوابة الاسفار التي اطلوا من خلالها على العالم في اسفار طويلة جابت بهم الاصقاع البعيدة يعودون بعدها لا يحملون البضائع وحدها بل ناقلين لثقافات تلك البلدان التي زاروها فتأثروا بها واثروا بها مجتمعهم بكل جديد منها. كان البحر يشكل عصب الحياة لاهل الكويت، وكانت سواحله تعج بمشاهد الصيادين بالشباك وبالابلام الصغيرة والحظرات المترامية وبالنساء المرتبطات به، ففيه يغسلن الملابس والمواعين وشعورهن المحناة بالحناء هن واطفالهن ، كان مكانا يتآلف فيه الكبار والصغار. وقد حفلت روايتي: (وسيمة تخرج من البحر) بهذه الاجواء التي تأصلت فيها علاقة الإنسان الكويتي بالبحر وكذلك بقصصي مثل : (الطاسة) و (رحلة السواعد السمر).
لم يكن البحر وحده. فمنه إلى الصحراء التي عشت في احد بيوتها حين فرت بنا امي فعشت مناخاتها الجوية المتقلبة ما بين حرارة صيف لاهب تكثر فيه رياح السموم التي تقذفنا بالرمال الحمر الناعمة حتى لتكاد تغطي كل شيء. وزئير رياح الشتاء القارسة التي تثير مخاوف من الجن والعفاريت، ولم يكن ما يخفف علينا من هذه الاجواء الصحراوية المرعبة سوى قطعان الجمال السائرة باحمالها وركابها من البدو الذي يحرك صوت حدائهم سكون الصحراء ويشجينا. وتلك مشاهد ارخت لها في كثير من قصصي خاصة ما كان منها عن فترة الغزو مثل: (الرحيل الدامي) و (وجه الطاعون القديم).
لقد تسنى لي بسبب زواج ابي من عدة نساء، ان انتقل بين الاحياء الثلاثة الرئيسة في مدينتي القديمة، وان اعيش في أكثر من بيت مما شحن ذاكرتي بتفاصيل الاحياء والبيوت كما اتاحت لنا الحياة البسيطة والمشي على الاقدام ان احفظ صورة تلك الازقة الضيقة سواء المنحدرة إلى البحر أو المتعرجة التي تتغلغل إلى قلب المدينة والتي كانت ترش في عصارى الصيف بالماء الخريج لتهدئة الاتربة التي تثور مع رياح السموم، ولتبريد الارض التي تتنفس عند ذاك رائحة هي خليط من عطر الارض الشهي، وروائح المداعيب وروث البهائم.
في تلك الازقة التقطت العين العديد من المشاهد . مشهد . الحمارة . وهم يسوقون حميرهم إلى البيوت ناقلين مياه شط العرب في صفائح صدئة أو قرب مرقعة تفوح رائحة جلدها الكريه. وعند رؤوس (العوابر) حيث تجلس بائعات (الباجلاء والسبال المحموس والاقط والامشاط والديرم والليف) وبعض الحاجات الأخرى. كما كان الباعة من الرجال وبعض الصبيان يتوزعون بين الازقة لبيع (الحلويات الشعبية والدندرمة) في عربات مكشوفة يتراكم عليها الذباب. تسنى للعين كذلك ان تلقط مشاهد غسل الموتى ومواكب الجنازات والاعراس وشجارات البيوت وجلسات الرجال بما يشبه الديوانيات امام البيوت الطينية التي تصطف على جانبي الزقاق. وبفضل الامان السائد في ذلك الزمان. تظل ابواب البيوت مشرعة مما اتاح للعين ان تلتقط تفاصيل الاحواش المتعددة والتي كان يفصل بينها . المدربان . أو فتحة صغيرة تسمى . الفرية . هناك حوش المطب، حوش البقر وحوش الديوانية الخاص بمجالس الرجال.
في البدء كانت ارض الاحواش من تراب، ثم تطورت تدريجيا، صارت اسمنتية ثم رصفت بالطابوق الاصفر ، ثم دخل البلاط بدءا بالليوان ثم الحوش. اما الجدران فكانت ترش بالجص الابيض. وحين تطورت بعض البيوت ادخلت البلاط الصغير الملون . الفسيفساء . ليزين جدران اللواوين.